ومظلم من تلافيف عقله. ليس التشبيه دقيقا، أعيده: طويت اللحظة كورقة يحفظها الإنسان ضمن أوراق قديمة وصور باهتة لا يستشعر حاجة لها، ولكنه لسبب مبهم لا يتخلص منها. هذا التشبيه أيضا ليس دقيقا. كنت أعود لها، دائما أعود، أعود تسللا، أو كشخص مصاب بداء المشي أثناء النوم، يقوم ويمشي، يتفقد أشياء ويفعل أشياء، وفي الصباح ينسى ما قام به.

تربيت على كتب عبد الرحمن الرافعي. في المدرسة الثانوية قرأت كتبه عن عصر إسماعيل، والثورة العرابية، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وثورة ١٩١٩. في الجامعة اشتريت كتابه: «مقدمات ثورة ٢٣ يوليو»، وكتابه التالي أيضا، الأخير على ما أعتقد، «ثورة يوليو تاريخنا القومي في سبع سنوات». قال الرافعي في «المقدمات»:

«حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ كان مأساة ينفطر لها القلب حزنا وأسفا»، قال إن الحريق «انبعث من النفوس المريضة بين المواطنين»، حريق القاهرة «قامت به العناصر الرديئة من الشعب»، «رأينا الغوغاء يشعلون النار جزافا في المحلات التجارية دون مبالاة أو اكتراث».

وفي كتابه التالي، وتحت عنوان «الدسائس والمؤامرات الأولى لإحباط الثورة: حوادث الشغب في كفر الدوار»، وصف الرافعي إضراب عمال شركة الغزل والنسيج بكفر الدوار في أغسطس ١٩٥٢ بنفس المفردات التي سبق له استخدامها في حديثه عن الحريق. لم ير في الإضراب الذي شارك فيه عشرة آلاف عامل سوى «فتنة» وهياج» و«إثارة» و«شغب».

كتب الرافعي:

«وتبيّن من سرعة تعاقب حوادث الشغب أنه لولا قوة الجيش وتدخله السريع لقمع الفتنة لتعددت وقائع الشغب في أنحاء متفرقة وتجددت أحداث مشابهة لحوادث حريق القاهرة، تلك الحوادث التي لم تقمع إلا حين تدخل الجيش وأعاد النظام في يناير عام ١٩٥٢.